كتاب الرسول يخاطب عصرنا الحديث

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين الذي له الأسماء الحسنى، وصلى الله على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين؛ بسعيه إلى إصلاحهم أجمعين، وعلى آل بيته الطاهرين وصحبه الذين اتبعوا النبي الكريم ونشروا الكتاب في أكثر أصقاع الأرض في زمانهم، وحطموا عروش الطواغيت الظلمة من الفرس والروم وغيرهم، ونشروا العدل والخير والحق في كل أرض فتحوها وكل بلاد دخلوها، اللهم ومن قام بتجديد أمة الإسلام ومن سار على دربهم من دعاة الخير المخلصين والمجاهدين الصابرين والعلماء العاملين إلى يوم الدين.

لقد هزني في ريعان الشباب[1] قول الفيلسوف الهازل الإيرلندي برناردشو: ((ما أشد حاجة العالم في عصره الحديث إلى رجل ﴿ كمُحمّد ﴾ يحل مشكلته القائمة المعقدة بينما يتناول فنجاناً من القهوة)) [2]

وأتساءل هل النبي محمد ﷺ أدلى بأقوال خاطب فيها عصرنا ليحل مشاكله المعقدة؟! هل بشّر بحل مشاكله وتجديد أمة الإسلام فيه، وذلك في كلمات وجيزة يستمع لها من يؤمن به أنه رسول الله تعالى وأنه رحمة للعالمين ﷺ؟!

بعد لأيٍ وجهد ومثابرة في تفتيش كتب الحديث الشريف التي بسطت فيها أقواله ﷺ انتقيت درراً عظيمة من أقواله ﷺ في المشكلات التي تصيب العالم الحديث وجسم الأمة التي تؤمن به وتجديد أمة الإسلام وانتشاره العالمي الأكيد، وكم كان بودّي أن يكون برناردشو حياً لأقول له نعم لقد أشار النبي محمد ﷺ إلى مشكلات عصرنا وتجديد الأمة التي ستقوم بعبء الإصلاح العالمي فيه.

نعم لقد أوضح النبي محمد ﷺ مشكلات رئيسية خطيرة تصيب أهل الإسلام المكلفين بإصلاح حال العالم كله، سواء كانت هذه المشكلات في الابتلاء والمحن واهتزاز أمنهم وغربتهم بين الناس في إصلاحهم، وسواء كانت اقتصادية أم سياسية أم اجتماعية أم تقاعس الكثير منهم عن ميادين الفداء والعلم والعمل للتغيير ومشكلة البيئة نباتياً وفُشّو الكذب .... الخ، بل أشار ﷺ إلى انتشار العدل ورجوع الخلافة الراشدة وانتشار الإسلام في الأرض.

وإذا كان لكل زمان علم، فقد وجدته ﷺ رحمة لعالمنا ولأهل زماننا بمخاطبته إياهم فيما هم أحوج إليه، وصدق الله العظيم القائل: ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ [3].

---

[1] ريعان الشباب مقتبله وأفضله – انظر معجم تاج العروس مادة (ريعن).
[2] مجموعة الرسائل (ص ١٦٧).
[3] الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء.

لو نظرنا في البلاء الذي صُب على العالم عامة وعلى العالم الإسلامي خاصة لرأينا الأعاجيب والأهوال التي لا توصف إذ أصبح دماء وأرواح وأموال العالم الثالث مباحة لحفنة في الدول العظمى التي لم ترحم بلدانها ولا بلدان العالم الثالث وعلى الأخص العالم الإسلامي، بحيث صار الإنسان يشعر بأنه غريب في بلده وخارجه؛ لا يشعر بالتمازج حتى مع بني جنسه إلا بالآلام للحواجز الضخمة التي حاول الطغاة العالميون فرضها على المجتمعات لتفرقهم مع سيطرة سياسية، وكأن حُكام العالم أمامهم أحجار شنطرنج يديرونها حيث يشاءون لمصالحهم في الدول العظمى وكذلك السيطرة الاقتصادية كلها لخدمة عملاتهم وعصاباتهم الربوية التي تستقبل كل ثروات العالم الثالث تقريباً بحجة الفائدة الربوية الأعلى في مصارفهم (بنوكهم) سواء عن طريقهم مباشرة أو عن طريق أحجار على رقعة الشطرنج التي يدرونها ، فالعالم الإسلامي يملك ٨٠٪ من الثروات النفطية العالمية، أما الشرق الأوسط وحده فيملك ٦٥٪ من نفط العالم ومخزون العراق النفطي أكثر من ٢٠٠ مليار برميل والبترول الاحتياطي لدى الولايات المتحدة الأمريكية يكفيها عشر سنوات فقط، ومع ارتفاع سعر النفط فمن استفاد في رفع سعر عملته واستقبال الأموال إلى عصابته الربوية في مصارفهم للدول العظمى، فعِوضاً من أن يكون النفط مقابل التكنولوجيا الغربية الضرورية لنا بالتبادل، صار النفط وكأنه لعنة للعالم الإسلامي بالسيطرة الأجنبية مباشرة وغير مباشرة؛ علماً أن البترول العربي للشرق الأوسط خاصة هو دعامة الاقتصاد الأمريكي والتكنولوجيا الأمريكية، يقول نيكسون : ((إن بترول الشرق الأوسط أشد على الولايات المتحدة من حرب نووية))[1]، كما أن ٨٠٪ من سيارات العالم وطائراته وبوارجه الضخمة ومعامله طاقتها النفطية هي من بلاد المسلمين، ويحرم عليهم صنع أي شيء من هذا، وقس على ذلك فنزويلا التي تصدر كميان نفط واسعة لم تسلم من محاولة السيطرة السياسية والعسكرية من قبل الطغاة العالميين ولو بشكل غير مباشر.

أما من الناحية الاجتماعية فالعالم على حافة هاوية بأمراض جنسية وفي صراع نفسي داخلي في داخل كل شاب بإثارة الغرائز الجنسية من الكاسيات العاريات ببرامج أجنبية ولو بأموال العالم الثالث أحياناً بأمر الطغاة العالميين.

وأمام كل هذا الطغيان العالمي تجد التقاعس عن الفداء وعن العلم النافع لرد اعتداء هؤلاء الطغاة بدعايات إعلامية كاذبة.

وبعد كل هذه الحضارة المادية الجشعة تلوث بيئي عالمي أدى إلى ضعف الإنبات في بعض أماكن العالم وفقدان الاتزان الحراري في الأرض وتلوث في كثير من الأحيان في الماء والطعام والهواء ...

---

[1] انظر مذكرات نيكسون تحت عنوان وداع النفط.

أمام هذا الظلم الذي أصاب إنسانية الإنسان وجسم الإنسان كان لابد من التغيير ليس محلياً ولكن عالمياً بتكاتف جهود المظلومين وأنصارهم بمنهج مدروس، وأين هذا المنهج العالمي المغيّر ؟!..

لقد وجدتُ ذلك المنهج عند أعظم شخصية في التاريخ إنه محمد رسول الله ﷺ .

ولست بصدد التفصيل لكل فقرة ماضية في غربة الإسلام وضعف الأمن الفردي والعالمي أو فقدانه، والمشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية وفشوّ الكذب وتلوث البيئة، لأن هذا سيبحث في مكانه عند إشارات النبي محمد ﷺ إلى المشكلات العالمية في عصرنا.

لقد حاول كثير من المصلحين في عصرنا تقديم (ساندويتشات) في الإصلاح ليست شاملة ولا متكاملة، ولكن النبي مجمد ﷺ علمنا برسالته الحلول الجذرية المتكاملة كما سنرى إن شاء الله تعالى...وكما رأينا في سالف التاريخ.

تكامل الإسلام وإصلاحات الرسول ﷺ لهذا العصر:

لقد طرح كثير من المؤلفين الإسلاميين موضوع تكامل الإسلام وتكامل أنظمته في السياسة والاجتماع والاقتصاد والروح والأخلاق وغير ذلك وأجادوا بذلك، كان منهم أولاً الأستاذ أبو الأعلى المودودي– رحمه الله تعالى – في كتابه (نظام الحياة في الإسلام)، ثم كان منهم العلامة الداعية سعيد حوى –رحمه الله تعالى– في كتابه (الإسلام)، ولن أقوم بتكرار ما كتبوا فإن نظام الحياة في الإسلام هو هو، وخلال تكامل نظام الحياة في الإسلام مع الواقع البشري ينتج عنه تاريخ منه يقتبس الإنسان العبر...

لذلك قال المؤرخ ابن خلدون: (فالماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء)[1]، ولكن الخطير في الموضوع أن مناهج وآراء ونظم دُسّت على العالم من أعداء العالم لتحطيمه ومنها نموذج أول صغير هو بروتوكولات حكماء صهيون وغيره الكثير التي قُصد منها هدم العالم لتحيا الصهيونية متربعة على عرش العالم .....، ثم كانت بروتوكولات وبرتوكولات هدامة عالمية ومحلية علنية وسرية، كما أن هنالك متغيرات في العالم الإعلامي وفُشّو الكذب فيه، أدى إلى انهيار سريع للقيم الإنسانية العالمية في تحقيق إنسانية الإنسان وحريته وأدى إلى فقدان أمنه السياسي والاقتصادي وخاصة الغذائي والصحي .... الخ.

إن كلمة الإصلاح أصبحت أغنية على لسان كل مخلص ومنافق على كل صعيد، وكأنها كلمة سر للخروج من نفق طويل متعرج مظلم، فالمخلص يرى في ضوء قليل نواح للإصلاح، والمنافق يرى أن يضع للبشرية سراباً لا فائدة فيه، وانقسم الناس في دعوى الإصلاح إلى فئات مختلفة،((فالمنافقون يريدون إصلاح العقلية لتكون أكثر تقبلاً لريح الحداثة، والسياسيون يرون

---

[1] انظر مقدمة ابن خلدون (ص ١١).

في دعوى الإصلاح وسيلة تجميل جديدة يجملون بها أنظمتهم الحديثة دون أن يغيروا شيئاً في مضمونها، والجماهير ترى في الإصلاح طريقاً ووسيلة لنيل حقوق الإنسان المستباحة والعيش بدرجة أكبر كرامة ودرجة أقل في القمع. فالإصلاح إذن مصطلح ليس مثير للجدل فقط، ولكن للمراوغة أيضاً))[1].

لكن نظام الحياة في الإسلام ومخاطبة الرسول ﷺ لعصرنا الحديث لا تتحدث مراوغةً ولا من داخل نفق مظلم بل تقدم للبشرية حلولاً من خارج الظلمات المصطنعة؛ لأنه من الله تعالى الذي خلق الكون والحياة والإنسان ولأن الرسول ﷺ هو الذي لا ينطق عن الهوى، وعلمه ربه تعالى مخاطبة عصرنا بنواحٍ أشار إليها من أجل الإصلاح.

لذلك كان المنهج الإسلامي للحياة ونصائح الرسول ﷺ لعصرنا ليست من تأثير الأعداء وفشو كذبهم الإعلامي المنتشر..

عالمية الإصلاح:

إن ميزة الإصلاح في المنهج الإسلامي ونصائح الرسول ﷺ ليس محلياً أو إقليمياً أو قومياً أو قارياً، إنه منهج إصلاح عالمي ينطلق ممن يؤمن بهذا المنهج ومخاطبة الرسول ﷺ في نواحي الإصلاح لعصرنا. قال الله تعالى مخاطباً رسوله محمد ﷺ :﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ [2]، وقال الله تعالى:﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾[3].

نعم لقد قام على مدى التاريخ الإسلامي بالمنهج الإسلامي عرب وأكراد وبربر وأتراك وعنود...، وساد كل منهم بالمنهج الإسلامي على بني جنسه وغيرهم، فليس المنهج الإسلامي ومخاطبة الرسول ﷺ لعصرنا خاصة للعرب بل هي عامة لكل من آمن بأن محمد رسول الله ﷺ، فليس الأمر تسلط استعماري... بل إصلاح نبوي عالمي... نعم لقد ساد الصحابة رضوان الله عليهم على العرب وغيرهم من الأقوام وكذلك الذين من بعدهم في الدولة الأموية والعباسية، ثم ساد صلاح الدين المسلم الكردي على المسلمين من العرب والأكراد، وساد العثمانيون والأتراك المسلمين على العرب والأكراد والأتراك... فليس الأمر تسلطاً قومياً، بل دعوة إصلاح ربانية عالمية...

والآن فليس المهم أن يكون من رواد الإصلاح على المنهج النبوي من قوم بعينه، إنما المهم أن تكون النية خالصة لله تعالى في كل حركة محلية أو عالمية طبق المنهج الإسلامي في نظام الحياة في الإسلام أو في مخاطبة الرسول ﷺ لهذا العصر الحديث.

---

[1] انظر مجلة العربي
[2] سورة الأعراف الآية ١٨٥
[3] سورة الأنبياء الآية ١٠٧

إن نصائح الرسول ﷺ لعصرنا الحديث ليست خاصة بتيار إسلامي دون تيار، فما دمنا جميعاً مؤمنين بأن محمداً رسول الله ﷺ صدقاً وحقاً، وأمامنا أحاديثه الصحيحة فعلينا أن نرجع إليها، فالواجب على كل مسلم المنتمي إلى أي تيار إسلامي أن يصغي إليه وهو يخاطب عصرناﷺ.

فهذا من مستلزمات الشهادة الثانية من الشهادتين: ((أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله))، إنها رحمة رسول الله ﷺ بنا في هذا العصر الخطير وأمام الفتن المدلهمة وأمام مستقبل سفينة الإسلام وسط هذه الأعاصير التي ستصل إلى شاطئ السلامة في تجديد أمة الإسلام وانتشاره ونصره ورضوان الله تعالى وجنانه التي وعد بها عباده المتقين بعون الله تعالى. فكن جندياً عند رسول الله ﷺ بعصرنا في الاستماع لنصائحه تكن من جند الله تعالى الذين يستحقون نصره. قال الله تعالى:﴿ وإن جندنا لهم الغالبون ﴾[1].

إن علينا أن نقدر حسنات المسلم الآخر والتيار الإسلامي الآخر مهما كان... لنريه نصائح الرسول ﷺ لعصرنا ما دمنا كلنا شهدنا ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وعند ذلك نكون قد اتخذنا محمداً ﷺ أسوة حسنة. قال الله تعالى:﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾[2].

محمد ﷺ القدوة الخُلقية:

لقد عاش النبي ﷺ حياة الغني والفقير وحياة اليتيم والأب وحياة الزوج الراعي لولده وحياة الزوج الفاقد لولده والحياة العسكرية والمدنية، وعاش في كل هذه الحالات في حياته متمتعاً بصفات سامية تجعله بحق قدوة حسنة للناس أجمعين ﷺ .

أ – رحمته ﷺ :

اتصف النبي ﷺ بصفات عالية كثيرة لكن أعلى صفة عنده وكل صفاته العالية هي صفة الرحمة عنده ﷺ، وإليك نماذج من رحمته ﷺ:

١. عن أنس بن مالك ﷺ عن رسول الله ﷺ :﴿ كان أرحم الناس بالعيال﴾[3].
٢. وعن أنس ﷺ عن رسول الله ﷺ :﴿كان يزور الأنصار ويسلم على صبيانهم ويمسح رؤوسهم ﴾[4].
٣. عن سهل بن حنيف ﷺ عن النبي ﷺ :﴿ كان يأتي ضعفاء المسلمين، ويزورهم، ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم ﴾[5].

---

[1] الصافات الآية ١٧٣.
[2] سورة الأحزاب الآية ٢١.
[3] أخرجه مسلم (٧٦/٧) - الصحيحة (٢٠٨٩/١١٢٥/٥).
[4] صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان المؤلف / المشرف: محمد بن حبان البستي المحقق / المترجم: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الثانية سنة الطبع: ١٤١٤هـ
[5] أخرجه الحاكم (٤٦٦/٢)، وقال :((صحيح الإسناد)) ووافقه الذهبي.

٤. عن أنس ﷺ عن رسول الله ﷺ :﴿ كان رحيماً، وكان لا يأتيه أحد إلا وعده، وأنجز له إن كان عنده، وجاءه أعرابي فأخذ بثوبه فقال: إنما بقي من حاجتي يسيرة وأخاف أنساها. فقام معه حتى فرغ من حاجته، ثم أقبل فصلى ﴾[١].

٥. لقد جعل الله تعالى محمداً ﷺ هدية رحمة مبعوثة منه سبحانه، عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله ادع على المشركين قال رسول الله ﷺ :﴿ إني لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة﴾ [٢].

٦. عن ابن عمر ﷺ قال: ﴿ وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ ، فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان ﴾[٣].

ب – شجاعته ﷺ :

جاء رجل إلى البراء ﷺ فقال: أكنتم ولّيتم يوم حنين يا أبا عمارة؟ فقال ﷺ : ﴿ أشهد على نبي الله ﷺ ما ولّى، ولكنه انطلق أخِفّاء من الناس وحُسّرٌ إلى هذا الحي من هوازن، وهم قوم رماة، فرموهم بِرَشْق من نَبل، كأنها رجل من جراد فانكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ وأبو سفيان بن الحارث يقود بغلته، فنزل ودعا واستنصر، وهو يقول ﷺ :﴿ أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب، اللهم نزّل نصرك – زاد أبو خيثمة : ثم صفهم ﴾، قال البراء : كنا والله إذا احْمرّ البأس نتقي به، وإن الشجاع منا الذي يحاذي به – يعني النبي﴾[٤].

لقد قاتل النبي ﷺ ثلاث محاور رئيسية في حياته في العهد المدني.

المحور الأول: قريش الوثنية وعلى رأسها أبو جهل (عمرو بن هشام) وكانت النتيجة أن قتل وفتح الله تعالى عليه مكة ﷺ أخيراً.

والمحور الثاني: القبائل اليهودية وأهمها يهود المدينة المنورة وهم (بنو النضير، وبنو قريظة، وبنو قينقاع) وقتل حُييّ بن أخطب اليهودي الذي كان يجمع العرب واليهود على حرب الإسلام والمسلمين في غزوة الأحزاب.

والمحور الثالث: الدولة الرومية النصرانية على رأسها هرقل قاتلها في معركتين: الأولى في غزوة مؤتة التي كان عدد المسلمين فيها ثلاثة آلاف وعدد النصارى مائتي ألف

---

[١] أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٧٨) – الصحيحة (١٢٩/٥).

[٢] حدثنا محمد بن عباد وابن أبي عمر قالا حدثنا مروان يعنيان الفزاري [ص: ٢٠٠٧] في صحيح مسلم الجزء الرابع.

[٣] صحيح البخاري (٣٠١٥/٢٦٠/٢).

[٤] رواه البخاري في صحيحه (٢٩٣٠/٣٠٦/٣) كتاب الجهاد والسير – باب من صف أصحابه ونزل عم دابته واستنصر وكتاب المغازي وباب غزوة حنين، وفي كتاب الجهاد باب من قاد دابة غيره في الحرب، وباب بغلته البيضاء، وباب من صف أصحابه عند الهزيمة وباب من قال: خذها وأنا ابن فلان، ورواه مسلم (١٧٧٥،١٧٧٦/١٣٩٨/٣) باب غزوة حنين.

(أخِفّاء) جمع خفيف: وهم المسرعون من الناس الذين ليس لهم ما يعوقهم، (حُسّر) جمع حاسر وهو الذي لا درع عليه، (يرشق) رشق يرشق رشقاً: بفتح الراء إذا رمى، وبكسر الراء، وهو الاسم من الرمي، وهو المراد في الحديث، يقال: إذا رمى القوم بأسرهم في جهة واحدة: رمينا رِشقاً

(مائة ألف من الروم، ومائة ألف من الغساسنة العرب، ولم يقدر النصارى على المسلمين وأذاقهم المسلمين الويلات قبل انسحابهم.

الثانية: وأما هرقل نفسه فقد أراد قتال المسلمين في غزوة تبوك، وكان مع الرسول ﷺ ثلاثون ألف مقاتل، لكن هرقل خاف اللقاء بالرسول ﷺ وجيشه، وفتح الله على رسوله ﷺ.[١]

وكان رسول الله ﷺ قد أرسل رسالة إلى هرقل يدعوه بها إلى الإسلام، وقد كاد يسلم لولا أن ثار عليه رجال دينه فخاف زوال ملكه ولم يسلم، وخاف من النبي ﷺ ، فعن ابن عباس ﷺ أن أبا سفيان ﷺ أخبره: ((أن هرقل أرسل إليه وهو بإيلياء ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ ، فلما فرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب فارتفعت الأصوات وأُخرجنا، فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمِر أمْر ابن أبي كبشة، إنه يخافه ملك بني الأصفر))[٢].

ولقد كان عدد الغزوات التي تقدم إليها النبي ﷺ بجيشه سبع وعشرين غزوة قاتل منها في تسع غزوات[٣]، وذلك في مدة عشر سنوات في المدينة المنورة.

فمحمد ﷺ ذهب إلى أن رزقه بقتاله، فعن عبد الله بن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:﴿ جُعل رزقي تحت ظل رمحي، وجُعل الذل والصغار على من يخالف أمري﴾[٤].

جـ- السلام عند النبي ﷺ :

١. قريش الوثنية: إن النبي ﷺ الذي أخرجته قريش الوثنية، وترك الصحابة فيها أموالهم وبيوتهم فقاتلها في غزوة بدر، ثم قاتلته في غزوة أحد والأحزاب، وبالرغم من ظلمها لأصحابه فإنه عقد معها صلح الحديبية مع اعتراض بعض أصحابه[٥].

وأخيراً نقضت قريش عهد الصلح، ففتح النبي ﷺ مكة المكرمة، والملاحظ في عهد صلح الحديبية أن النبيﷺ آثر السلام على الحرب، فيسر الله له فتح مكة المكرمة.

٢. اليهود في المدينة المنورة: ولما قدم رسول الله ﷺ دعا يهود بني قينقاع وبني قريظة وبني النضير، وصالحهم على ترك الحرب والأذى وأن لا يحاربهم ولا يؤذيهم وأن لا يعينوا عليه أحداً، وأنه إن دهمه عدوّ ينصرونه، وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم[٦].

---

[١] لكن الشهرة الدولية كانت في القتال مع هرقل، إذ كسر الدولة الفارسية بعد استيلائها على (إنطاكية ، والقدس) وتوسعها حتى وادي النيل وتقلصت الدولة الرومانية إلى عاصمتها مما أدى إلى كساد التجارة، وإغلاق الأسواق ، وتفشي الأمراض ، وتحول دور العلم إلى مقابر موحشة مقفرة ثم صالح هرقل كسرى على أن يدفع لكسرى ألف تالنت (TALENT) من الذهب ، وألف تالنت من الفضة ، وألف ثوب من الحرير، وألف جواد، وألف فتاة عذراء ... لكن هرقل هجر ملذاته في القسطنطينية وأعد جيشاً وشنّ حرباً على الفرس ثم قاتلهم سنة (٦٢٣م،٦٢٤م،٦٢٥م) وأخيراً طلب كسرى الفرس الصلح مع الروم وأعلن تنازله عن الأرض الرومية، كما أعاد الصليب المقدس إلى الروم الذي سلبه الفرس، وعمّت الفرحة لما رجع هرقل إلى عاصمته القسطنطينية في مارس عام ٦٢٨م في استقبال مهيب (انظر المعجزة القرآنية ص ١٠٦-١١٤) فهرقل كان القائد العالمي الأول، وأخيراً انسحب هرقل من سورية أمام ضربات المسلمين، ووقف على جبال طوروس يقول: سلام عليك يا سورية سلام لا لقاء بعده.

[٢] صحيح البخاري (٢٩٧٨/١٦/٤) وكان أبو سفيان عند لقاءه هرقل كافراً.

[٣] السيرة النبوية لابن هشام (٣٤١/٤،٣٤٠).

[٤] أخرجه البخاري تعليقاً وهو طرف من حديث إسناده حسن أخرجه الإمام أحمد – انظر جامع الأصول (٥٣٤/٨) مع تعليق عبد القادر أرنؤوط على الحديث الشريف.

[٥] انظر السيرة النبوية لابن هشام (٣٤٠/٤،٣٤١).

[٦] السيرة النبوية والآثار المحمدية لأحمد زيني دحلان رحمه الله تعالى (٣٣٧/١).

٣. لكن القبائل اليهودية الثلاث نكثوا عهودهم مع النبي ﷺ فجازاهم، وكان أشدهم نكثاً بني قريظة إذ انضمّوا إلى القبائل العربية المهاجمة للمدينة المنورة في غزوة الأحزاب.
٤. النصرانية في بلاد الشام: بعث رسول الله ﷺ الحارث بن عمير الأزدي ﷺ بكتابه إلى عظيم بُصْرى، فعرض له شرحبيل ابن عمرو الغساني – وكان عاملاً على البلقاء من أرض الشام من قِبل قيصر – فأوثقه رباطاً، ثم قدمه، فضرب عنقه. وكان قتل السفراء والرسل في أشنع الجرائم، يساوي بل يزيد عن إعلان حالة الحرب، فاشتد ذلك على الرسول ﷺ.

عن أبي ريحانة ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ إنه لا يدخل من الكِبْر شيء الجنة﴾، فقال قائل: يا رسول الله إني أحب أن أتجمل بسير[١] سَوطي، وشِسع نعلي، فقال النبي ﷺ : ﴿إن ذلك ليس بالكبر، إن الله جميل يحب الجمال، إنما الكبر من سفه الحق وغَمَص[٢] الناس بعينيه﴾[٣]. وعن محمد بن سيرين: سُئل أنس ﷺ عن خضاب رسول الله ﷺ فقال: إن رسول الله ﷺ لم يكن شاب إلا يسيراً، ولكن أبا بكر وعمر بعده خضبا بالحناء والكتم. قال وجاء أبو بكر ﷺ بأبيه أبي قحافة إلى الرسول ﷺ يوم فتح مكة يحمله حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر ﷺ :﴿ لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناه تكرمة لأبي بكر﴾[٤]، فأسلم ورأسه ولحيته كالثغامة[٥] بياضاً. فقاله رسول الله ﷺ :﴿ غيّروهما وجَنّبوه السواد ﴾[٦]. وعن جابر بن سمرة ﷺ قال: ((رأيت رسول الله ﷺ في ليلة إضحيان[٧]، فجعلت أنظر إلى رسول الله ﷺ وإلى القمر، وعليه حلّة حمراء، فإذا هو عندي أحسن من القمر))[٨].

وخلاصة الأمر في الحديث الآتي:

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((إن الله يحب أن يُرى أثر نعمتِهِ على عبده))[٩].

---

(١) في أحمد (١٣٣/٤): بسبق – تعليق عبد الله درويش على مجمع الزوائد.
(٢) غمص: احتقر – تعليق عبد الله درويش على مجمع الزوائد.
(٣) رواه أحمد ورجاله ثقات، ورواه الطبري في الكبير والأوسط – مجمع الزوائد (٨٥٨٨/١٣٣/٥).
(٤) في أبي يعلى رقم (٢٨٣١): كرامة أبي بكر، وانظر أحمد (١٦٠/٣) – تعليق المحقق عبد الله درويش على الهامش.
(٥) الثّغامة: نبت أبيض الزهر والثمر يشبه به الشيب، وقيل هي شجرة نبيضُّ كأنها الثلج – النهاية في غريب الحديث والأثر (٢١٤/١).
(٦) رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه والبزار باختصار، ورجال أحمد رجال الصحيح – انظر مجمع الزوائد (٨٧٨٠/١٥٩/٥).
(٧) (إضحيان) يقال: ليلة إضحيان، وإضحيانة، أي مضيئة مقمرة – جامع الأصول (٦٦٩/١٠).
(٨) أخرجه الترمذي – جامع الأصول (٨٣٠٨/٦٦٩/١٠). قال المعلق عبد القادر أرنؤوط رقم ٢٨١٢ في الأدب، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وهو كما قال، ورواه الحاكم (١٨٧/١) وصححه ووافقه الذهبي – جامع الأصول (٦٧٩/١٠).
(٩) أخرجه الترمذي – جامع الأصول (٨٢٨٩/٦٥٨/١٠). قال المعلق رقم ٢٨٢٠في الأدب باب ما جاء أن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، وإسناده حسن – جامع الأصول (٦٥٨/١٠).

لكنّ النبي ﷺ كان وقافاً عند حدود الله تعالى في الزينة، فعن أبي هريرة ﷺ أن عمر بن الخطاب ﷺ قال: يا رسول الله إنّ عطارداً التميمي كان يقيّم حلة الحرير، فلو اشتريتها فلبستها إذا جاءك وفود الناس، فقال ﷺ :((إنما يلبس الحرير من لا خلاق له))[1].

وعن أبي ذر ﷺ قال: بينا النبي ﷺ يخطب إذ قام أعرابي فيه جفاء، فقال: يا محمد أكلتنا الضَّبُع، فقال النبي ﷺ ((غير ذلك أخوف لي عليكم، حين تُصب عليكم الدنيا صباً، فيا ليت أمتي لا يتحلّون الذهب))[2].

ولو ذهبنا نبحث في خلقه بالتفصيل ﷺ لرأيناه فاق كل البشر في كل خُلُق حميد ﷺ، فهو كما قالوا سيد الكل في الكل ﷺ، ويكفيه دلالة على خُلقه ﷺ قول الله تعالى فيه:﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾[3].

---

[1] رواه أحمد والبزار نحوه، ورجال أحمد ثقات – مجمع الزوائد (٨٦٣٨/٢٤٨/٥)، ونص الحديث في ((إنما ...)) في صحيح البخاري (٢٤٤/١٠) ومسلم رقم (٢٠٦٨) – جامع الأصول هامش (١٦٧٩/١٠).

[2] رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح – مجمع الزوائد (٨٦٨٩/١٤٧/٥).

[3] سورة القلم الآية الرابعة.